الأراجيز والمنظومات وأثرها في كتابة التاريخ والسير وتاريخ العلوم
دراسة في النشأة والأهمية المصدرية

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/١/٨
تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٣/١٢

د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية / جامعة الشارقة
smahmood@sharjah.ac.ae

الملخص

تعد الأراجيز والمنظومات من المصادر المهمة في كتابة التاريخ الإسلامي، تحتم دراستها ومعرفة عمقها وأثرها البالغ في كتابة وتدوين التاريخ، والتعرف إلى المجالات والميادين العديدة التي دخل فيها هذا النوع من الكتابة والتأليف، وكيف قدم هذا النوع من المصادر مادة خصبة للكتابة التاريخية حاكت تفاصيلها الثقافة الشعرية والأدبية التي سادت لدى العرب والمسلمين الذين تمكنوا من تحويلها لأدات في حفظ وتقديم وتسهيل العلوم، حيث كان الأساس من هذه الطريقة في حفظ التاريخ عبر الأراجيز والمنظومات هو تسهيل وتيسير حفظ وتداول المعلومة.

إن أهمية هذا الموضوع هو الوقوف على الأهمية البالغة لهذا النوع من المصادر التي استطاعت حفظ المعلومات التاريخية بصيغتها الكتابية والشفاهية، وبينت مدى التمازج بين التاريخ والشعر والأدب وبقية العلوم والمعارف.

إن الهدف الذي يريد البحث الوصول إليه هي تبيان الكيفية التي ظهرت بها هذه النوعية من المصادر التاريخية، وهل تمكن الباحثون من توظيفها بالشكل الأمثل، وكيف يمكن إعادة دراسة وتحقيق المصادر التي لا تزال لم تدرس وتحقق بالشكل اللازم حتى الآن.

ويقوم هذا البحث بتناول نماذج متعددة من هذه المصادر عبر أزمنة تاريخية متعددة وأماكن مختلفة من أجل إعطاء أمثلة ودلالات تعزز ما يريد البحث الوصول إليه من إجابات.

الكلمات المفتاحية: الأراجيز، المنظومات، التاريخ، المصادر، المخطوطات.

Rajaz Poems and Didactic Verses and Their Impact on Writing History, Biographies, and the History of Sciences: A Study on Their Origin and Source Valu

Dr. Saleh Muhammad Zeki M. Al-Leheabi
Department of History and Islamic Civilization
College of Arts, Humanities, and Social Sciences / University of Sharjah
smahmood@sharjah.ac.ae

Abstract

Arajeez and poems are important sources in writing history, and it is imperative to study them and know their depth and great impact in writing and recording history, and to identify the many fields and areas in which this type of writing and composition entered, and how this type of source provided fertile material for historical writing, the details of which were imitated by the poetic and literary culture that prevailed among Arabs and Muslims, who were able to transform it into a tool for preserving, presenting and facilitating sciences, as the basis of this method of preserving history through poems and poems was to facilitate and facilitate the preservation and circulation of information.

The importance of this topic is to stand on the great importance of this type of source that was able to preserve historical information in its written and oral form, and showed the extent of the intermingling between history, poetry, literature and the rest of the sciences and knowledge.

The goal that the research seeks to reach is to clarify how this type of historical source appeared, and whether researchers were able to employ it in the best way, and how to re-study and investigate sources that have not yet been studied and investigated in the necessary manner.

This research deals with multiple models of these sources across multiple historical times and different places in order to provide examples and indications that reinforce the answers the research seeks to reach.

Keywords: Arajeez, poems, history, sources, manuscripts.

المقدمة:

عُرف عن الكتابة والتدوين التاريخي اعتمادهما على مصادر متنوعة، حيث المعلومة التاريخية هي مناط البحث وقصد الباحث ليتمكن بعد تجميع المعلومات والتوليف بينها من تقديم مادة تاريخية تستند بقوة لمصادرها الأصلية، ولا شك أن التفاوت بين المصادر التاريخية وطبيعة المعلومات التي توردها شكل دافعاً لدى المؤرخين للبحث عن أفضل وأمتن المصادر للمعلومات التاريخية، وهنا يتصدر الحديث عن الأراجيز والمنظومات وكيف شكلت مصدراً ومعيناً لا ينضب جمع بين صنعة المؤرخ وحرفة الشاعر والأديب، متخللة ميادين وعلوم ومعارف عدة، فكان لابد من معرفة جذرها التاريخي وانطلاقتها الأولى وأهميتها المصدرية لمن يبحث في التاريخ الإسلامي.

إن أهمية موضوع هذا البحث تتأتى من طبيعة ما نسعى للوصول إليه بإثبات طبيعة وقوة هذا النوع من المصادر التاريخية التي لا تزال الكثير منها مخطوطة وبحاجة ماسة لدراسة وتحقيق، ولا سيما الذي يتعلق منها بتاريخ العلوم.

والمشكلة التي يسعى البحث للوصول لمعالجتها تكمن في السؤال الرئيس، وهو: هل الأراجيز والمنظومات تشكل بالفعل مادة خام وأرضية صلبة لكتابة وتدوين التاريخ باعتبارها مصدراً مهماً له ؟

ومن هذا السؤال الرئيس تتفرع أسئلة عدة من أبرزها: كيف أسس المؤرخون المسلمون لهذا النوع من المصادر التاريخية، وهل كان معروفاً لدى الحضارات والأمم الأخرى، وما مدى إسهام الأراجيز والمنظومات في كتابة التاريخ والسير، وما الأثر الذي يمكن أن نلمسه من دراسة الأراجيز والمنظومات الخاصة بتاريخ العلوم عند المسلمين؟

أما الحدود الزمانية للدراسة فتمتد حتى القرن العاشر الهجري (نماذج مختارة).

والحدود المكانية على امتداد الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي باعتبار الدراسة تتناول نماذج وأمثلة مختارة.

المبحث الأول: نشأة الأراجيز والمنظومات التاريخية

مفهوم الأراجيز والمنظومات:

تنوعت مصادر كتابة التاريخ الإسلامي، منها الذي أُلف ليكون مصدراً للتاريخ، ومنها الذي كتب لأغراض أخرى غير أنه يحمل مضامين عدة من أبرزها التاريخي، أو قد لا يكون كذلك غير أن المؤرخ يوظفها بالشكل والطريقة التي تجعل هذه المؤلفات من أبرز مصادر الكتابة التاريخية.

إن المنظومات والأراجيز من أهم المصادر التاريخية لاسيما في مضمار كتابة تاريخ العلوم عند المسلمين؛ حيث وردت فيها معلومات جمة يمكن توظيفها في إعادة كتابة جوانب مهمة لم تحصل على حظها ونصيبها اللازم في المصادر التاريخية التي ركزت على التاريخ بمفهومه العام السائد.

ويمكن أن نعرف المنظومات الشعرية: بأنها الأراجيز والأشعار والقصائد العلمية والتاريخية والاجتماعية التي ألفت وصيغت وأخذت حكم الكتب، ومنها ما جاء بصيغة كتب منظومة على شكل أراجيز، وقد اصطلح عليها المتون المنظومة، فهي تجمع الكلام في قضايا فن أو علم معين[١].

وقد تعارف الأدباء على مصطلح المنظومات، ومفاده أنها نسق يجمع منظوم القول، وهو يختلف عن الشعر، حيث أوجزه عمر فروخ بقوله: "أما النظم فهو الكلام الموزون المقفى، فإذا امتاز النظم بجودة المعاني وتخير الألفاظ ودقة التعبير ومتانة السبك وحسن الخيال مع التأثير في النفس فهو الشعر؛ لأن الشعر حقيقته ما خلب العقل واستولى على العاطفة واستهوى النفس، من أجل ذلك قال عرب الجاهلية عن القرآن إنه شعر وعن رسول الله إنه شاعر، والعرب الجاهليون لم يقصدوا أن القرآن كلام موزون مقفى، بل نظروا إلى شدة أثره في النفس فقالوا عنه ما قالوا"[٢].

ومما تقدم يمكن القول أن المنظومات التعليمية هي أشعار ذات غايات علمية وإرشادية توظف مضامينها لأغراض متعددة منها الديني والأخلاقي والعلمي والاجتماعي، ويمكن أن تكون الجوانب مجتمعة فيستخلص منها فوائد التاريخية، وأحياناً قد نجدها مكتوبة لأغراض تاريخية محضة مثل منظومات السيرة النبوية ونحوها.

أنواع المنظومات والأراجيز:

تنوعت المجالات التي تناولتها المنظومات والأراجيز حيث أن الهدف التعليمي هو الذي يدفع الشخص الناظم للكتابة في هذا المجال أو ذاك، ومن خلال تتبع كتب الأدب والتاريخ نجد من المنظومات ما يعالج التاريخ والسير ونحوها من الكتابات، ومنها ما يتعلق بالحوادث والمجريات والوقائع مع تسلسلها الزمني، ومنها ما يتناول الأنساب بماضيها من أسماء ومسميات وفروع وأصول، وقد يتطرق لمواقع ووقائع تاريخية مع تحليلها وربط بين النتائج والمآلات والمقدمات وشيء من فلسفة التاريخ(٣).

إن من أبرز ما تناولته المنظومات والأراجيز الجوانب الدينية والعقدية بتفاصيلها من بدأ الخلق والعقيدة والأخلاق والعبادات والزهد والرقائق، أو القواعد والأدلة الفقهية، وعلوم الحديث الشريف وغيرها، وبعضها يتناول تقويم السلوك وتهذيب النفس، والترغيب والترهيب ونحو ذلك(٤).

ومن المنظومات ما يركز على العلوم العقلية والنقلية بتفاصيلها، فيبين ميزة ومزايا وتفاصيل هذا العلم سواء كان من العلوم التطبيقية أو الإنسانية.

مما تقدم يمكن أن نقول بأن العلوم والفنون التي تتحرك فيها وتركز عليها المنظومات والأراجيز هي(٥):

١. التاريخ والسير. ٢. العقائد والأخلاق والعبادات. ٣. العلوم والفنون والمعارف.

إن هذه الميادين قد تعززت بكتابات ومصادر مختلفة غير أن المنظومات والأراجيز جمعتها في قالب شعري منظوم يسهل حفظها وتعليمها للأجيال، ويجعل منها سهلة التداول مجموعة في نظم واحد اعتاد العرب والمسلمون على حفظه بسلاسة بحكم تعاملهم مع الشعر والأدب وحبهم له مما جعله ميداناً خصباً للكتابة والتأليف وتعزيز الجوانب العلمية ورفد المكتبة بنوع مرغوب ومحبوب من الكتابات التي نقلت نصاً أو شفاهاً بصفتها علماً أو شعراً، ولا تزال حتى اليوم جامعات ومعاهد عدة تقوم بتدريس وتعليم الطلبة عبر حفظ هذه المنظومات والأراجيز، والتي شكلت أرضية علمية قوية يستند إليها الطالب والمعلم والأستاذ، فضلاً عن الحفاظ على الموروث والتقاليد العلمية في التعليم المنقول عبر التاريخ والحضارة الإسلامية.

الأراجيز والمنظومات التعليمية في الحضارات الأخرى:

وما دمنا نتحدث عن المنظومات والأراجيز في تاريخ المسلمين فلابد أن نشير باختصار لوجودها لدى الأمم الأخرى، فقد عرف اليونان هذا النوع من التأليف، ومن أشهر الشعراء اليونان في هذا

الباب "هزيود" وهو من أهل القرن الثامن قبل الميلاد، وقد كتب قصيدتان في هذا المجال وتناولتا الجوانب الدينية والأخلاقية، مع الجوانب الاجتماعية والإنسانية، كما تطرق للجوانب التاريخية والصناعات والأداب والفنون والزراعة [٦]. كما أن هناك منظومة أخرى في الجوانب العقائدية وتعرف باسم (التيوجونيا)[٧][٨].

كما أن هذا النوع من المعارف كان رائجاً في الحضارة الهندية إذ أكثروا منه في العلوم التطبيقية والمعارف وبالخصوص في الرياضيات والفلك، ويرى البعض بأن المسلمين قد تأثروا بهذه المؤلفات والمنظومات؛ لذا ظهرت الأراجيز متأخرة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م) ولم تعرف قبل ذلك رغم اهتمام العرب بالشعر[٩]. لكن هذا الرأي مرجوح غالباً.

المبحث الثاني: بدايات توظيف الأراجيز والمنظومات في تدوين وحفظ التاريخ:

النشأة الأولى للكتابة التاريخية وفق الأراجيز والمنظومات:

بدأت أهمية المنظومات والأراجيز بالظهور في التاريخ العربي من خلال جملة أشعار وأبيات تنوعت أهدافها والفنون والعلوم التي تستهدفها حيث ظهرت أراجيز خاصة بالتاريخ القديم والأنساب وفي ذات الوقت فيها قدر كبير من الجوانب الدينية؛ لارتباطها بالموروث الشعبي، ويمكن اعتبار ما كتبه أمية بن أبي الصلت (ت ٦٢٦م) وعدي بن زيد (توفي نحو ٣٥ قبل الميلاد) في قصة خلق الإنسان وبدأ الخليقة ونشأة الأرض وتاريخ آدم وحواء بداية لهذا النوع من التدوين[١٠]، فيقول عدي بن زيد[١١]:

اسمع حديثاً كما يوماً تحدثه ... عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا

أن كيف أبدى إله الخلق نعمته ... فينا، وعرفنا آياته الأُولا

كانت رياح وماءٌ ذو عرانية... وظلمة لم تدع فتقاً ولا خللا

وبعد ذلك يتطرق الشاعر لتاريخ بدأ الخليقة وقصة آدم وحواء ونزولهما إلى الأرض وما ترتب على ذلك وقبله من مجريات أحداث خاصة بتاريخ البشرية الأولى، وكيف جرى ذلك وفق رؤية تاريخية دينية يمكن أن نستشف من خلالها طريقة تفكيرهم، ومدى امتزاج الجوانب التاريخية والدينية لدى العرب قبل الإسلام، فضلاً عن مدى تطابق موروثهم التاريخي القديم مع ما جاء به الدين الإسلامي من إثباتات تاريخية منقولة وفق النصوص الدينية لدى الديانات التوحيدية.

كما أننا نجد في شعر عدي إشارات تاريخية أخرى مهمة عندما يتحدث عن الزّباء وقصير وجذيمة، فيقول[١٢]:

أَلا يا أَيُّهَا الْمُثْرِي الْمُزَجِّي ... أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطْبِ الأَوَّلِينَا
دَعَا بِالبَقَّةِ الأُمَرَاءَ يَوْماً ... جَذِيمَةُ عَصْرَ يَنْحُوهُمْ ثَبِينَا
فَلَمْ يَرَ غَيْرَ مَا ائْتَمَرُوا سِوَاهُ ... وَشَدَّ لِرَحْلَةِ السَّفْرِ الْوَضِينَا
فَطَاوَعَ أَمْرَهُمْ وَعَصَا قَصِيراً ... وَكَانَ يَقُولُ لَوْ نَفَعَ الْيَقِينَا

ثم يسترسل في كلامه الذي يفصل المجريات التاريخية للحادثة، وكيف سارت الأمور في وصف تاريخي دقيق يستحضرالجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية، مع بيان لعاقبة الأمور، وما الذي آلت إليه مثل هذه التصرفات، في إطار أبيات تعليمية متعددة الجوانب والملامح.

كما نجد بدايات الإشارات للنظم والرجز التعليمي في ميدان تاريخ العلوم لاسيما الكيمياء، حيث ينقل المسعودي عن خالد بن يزيد (ت ٩٠هـ/٧٠٩م) مدى اهتمامه بتحويل المعادن الخسيسة إلى نفيسة، حيث يقول[١٣]:

خذ الطلق مع الأشْقِ ... وما يوجد في الطرق
وشيئاً يشبه البرقا ... فدبره بلا حرق
فإن أحببته مولاكا ... فقد سوّدت في الخلق

وفي هذا النوع من الشعر نتلمس البدايات التاريخية الفعلية للمنظومات التعليمية الخاصة بأنواع العلوم حيث تعد انطلاقة مبكرة؛ مما يشي بوجود اتجاه علمي وأدبي تاريخي شق طريقه لإحداث نقلة في تاريخ العلوم، وتمكين المعلم والطالب على حد سواء من إكمال أدواته التعليمية وفق أسس وأطر متبعة في الحياة اليومية لدى العرب والمسلمين ممثلة في إقراضهم الشعر وتداوله بشكل تلقائي وبالتالي لابد أن يظهر جلياً في العلوم والمعارف المختلفة مثل المنظومات والأراجيز[١٤].

كما قد نجد في بعض المنظومات والأراجيز ما يشير إلى الجغرافيا التاريخية وتاريخ القبائل والأنساب، وإنه بلا شك من أهم الجوانب في الدراسات التاريخية حيث يتضمن مادة خصبة توضح أسماء القبائل وزعمائها وأماكن سكناها ومسمياتها، وأسماء أعلامها مع أبرز البقاع الجغرافية، وقد يذكر خلالها أسماء خيولهم ودوابهم، وأبرز مآثرهم والوقائع التي جرت لهم والأيام

والحروب والمعارك، وذكر أبرز شعرائهم والخلال التي امتازوا بها عن غيرهم، وجوانب من المديح والثناء والرثاء والهجاء والفخر، ونحو ذلك من جوانب تعد مصدراً لكاتب التاريخ في وقت وحقب تعز فيها المصادر التاريخية، ولا يتوافر إلا النزر اليسير الذي لا يشكل في كثير من الأحيان مادة كافية ووافية، فتأتي مثل هذه المنظومات لسد النقص ورأب الصدع[١٥].

وفي هذا المجال يمكن أن نشير إلى ما كتب من المنظومات والرجز في مجال العلوم والحقائق والصناعات والفنون حيث نجد بضعة أمثلة في هذا الباب يمكن أن نستند إليها، فنجد من الشواهد في هذا الباب ما نقل عن الشاعر الأخنس بن شهاب من قبل الإسلام إذ يقول[١٦]:

لُكَيْزٌ لها البَحْرَانِ والسّيفُ كُلُّهُ ... وإنْ يأتِهَا بأسٌ منَ الهنْدِ كارِبُ
تَطَايَرٌ عن أَعْجازِ حُوشٍ كأَنَّها ... جَهَامٌ أَرَاقَ ماءَهُ فهو آئبُ
وبَكْرٌ لها ظَهْرُ العِرَاقِ وإنْ تَشَأْ ... يَحُلْ دُونَها منَ اليمامَةِ حاجبُ
وصارتْ تَمِيمٌ بينَ قُفٍّ ورَمْلَة ... لها مِنْ جِبال مُنْتَأًى ومذَاهِبُ
وكَلْبٌ لها خَبْتٌ فَرَمْلَةُ عَالِجٍ ... إلى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيثُ تُحارِبُ
وغَسَّانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سِوَاهُمُ ... يُجَالِدُ عَنْهمْ مِقْنَبٌ وكتَائِبٌ

ثم يستمر الشاعر في ذكر جوانب جغرافية عديدة تشكل مادة خصبة يفهم منها كيف كانت تلك البيئة، وما الذي يحيط بيها وما أهم معالمها التي يمكن من خلالها رسم صورة واضحة لتلك المواقع.

إن مثل هذه الشواهد تعزز الرأي بأن العرب قبل الإسلام عرفت هذا النوع من الأراجيز واهتمت به؛ فشكل جانباً قوياً ستتضح آثاره في العصور التاريخية اللاحقة.

الأراجيز والمنظومات في فلسفة التاريخ وقوانينه:

كما نجد من يتناول أهمية فهم واستيعاب فلسفة التاريخ وقوانينه؛ لما لها من أثر في مسيرة الحياة وإعادة ترتيب الإنسان لأولوياته وفق فهمه لهذا التاريخ ومجرياته ومآلاته، وفي هذا الباب من علم التاريخ يقول قس بن ساعدة (توفي حوالي٢٣ قبل الهجرة/ ٦٠٠م)[١٧]:

في الذّاهبين الأوَلين ... مِنَ القُرون لنا بَصَائرْ
لما رأيتُ مواردِاً ... لِلمَوْتِ ليس لها مَصَادرْ
ورأيتُ قَومي نَحْوَهَا ... يَمْضِي الأصاغر والأكابرْ
لا يَرْجِع الماضي إليَّ ... ولا من الباقين غابرْ

أَيْقَنْتُ أَنِّي لا مَحَالةَ ... حَيث صار القَوْمُ صائر[١٨]

وفي ذات المنحى والاتجاه في فهم فلسفة الحياة والعبرة من تاريخ البشر يقول زهير بن أبي سلمى[١٩] (ت ٦٠٩م/١٤ق هـ):

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِيْنَ حَوْلًا لا أَبَالَكَ يَسْأَمِ
رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصبْ ... تُمِتْهُ وَمَن تُخْطِئْ يُعمَّرْ فَيَهرِمِ
وَأَعْلَمُ مَا فِي اليَومِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ ... وَلَكِنني عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
وَمَنْ لا يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيْرَةٍ ... يُضرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَل بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنِ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِن دُونِ عَرْضِهِ ... يَفِرهُ وَمِن لا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمِ

ومن هذا النوع من الشعر والرجز نخرج بمدى أهمية حقل التاريخ لدى الشعراء والمهتمين بمختلف الفنون والعلوم، لذا حرصوا على النظم فيه.

لكن رغم كل هذه الفوائد يجد العديد من المختصين بأن المنظومات والرجز ليس شعرا؛ لأنه لا يملك الجوانب الشعرية الحقيقية القائمة على الإبداع والعاطفة والتأثير، فيقول هدارة: " فهو في نظرنا ليس فناً مؤثراً ولا شعراً خالداً وليس له من الشعر إلا اسمه"[٢٠].

غير أن الكثيرين يرون غير ذلك ومنهم الجاحظ، حيث يقول: " فإن حفظ الشعر أهون على النفس، وإذا حفظ كان أعلق وأثبت، وكان شاهداً، وإن احتيج إلى ضرب المثل كان مثلا"[٢١].

هذا وقد لخص الباحثون والمعنيون أهمية المنظومات والرجز في كتابه التراث والتاريخ بجملة فوائد، وكما يلي[٢٢]:

١. المحافظة على العلوم والمعارف والفنون من التصحيف والتحريف.
٢. تكثيف المعلومات التفصيلية مع العمل على اختصارها وتلخيصها.
٣. عمقها العلمي الذي يتجلى في كمية المعلومات وتنوعها وترتيبها.
٤. حفاظها على التاريخ من خلال سهولة تمثلها واسترجاعها.
٥. ساعدت على تمكين المؤرخين والباحثين على إيجاد صيغة علمية لتداول المعلومات التاريخية.
٦. تسهيل وتقريب التاريخ من خلال صياغته بأسلوب محبب.
٧. عرض المعلومات التاريخية بشكل يمتاز بجمال التعبير ودقة المعنى.

٨. إحداث توأمة بين علم التاريخ والأدب والبلاغة.

ومما تقدم نقف على أسباب اهتمام الأمم والحضارات بهذا من النوع من النظم[٢٣].

المبحث الثالث: الأراجيز والمنظومات في مجال التدوين وكتابة التاريخ والسير وتاريخ العلوم

تدوين الأحداث التاريخية باستخدام الأراجيز والمنظومات.

تعددت الأراجيز والمنظومات الشعرية الخاصة بالتاريخ وكذلك السير مثل : الأرجوزة المِئيَّة في ذكر حال أشرف البرية[٢٤] ، لمؤلفها: أبو الحسن علي بن علي بن محمد ابن أبي العزِ الحنفي، وكذلك أرجوزة السيرة النبوية الشريفة (سير الحور إلى القصور)، لمؤلفها: محمد بن محمد بن محمود بن الشحنة الحلبي (ت٨١٥هـ/١٤١٦م) [٢٥].

وتفاوتت عن بعضها البعض من حيث كم المعلومات التاريخية وطبيعتها، وطول الأرجوزة، وقوة النظم، والأسلوب، وغير ذلك، غير أنها تلاقت في تركيزها على التاريخ والس ير في مراحله وأشكاله وعصوره.

إن من أبرز الأراجيز ما صاغه علي بن الجهم[٢٦](ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م) والتي تعرف بالمحبرة، وهي أرجوزة طويلة تتكون من ثلاثمائة وثمانية أبيات، تبدأ مع نشأة الخلق والكون وتنتهي بأيام الخليفة العباسي المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م)، فيقول فيها [٢٧]:

يا سائلي عن ابتداء الخلق ... مسألة القاصد قصد الحقّ
أخبرني قوم من الثّقات ... أولو علوم وأولو هيئات
أنّ الذي يفعل ما يشاء ... ومن له العزّة والبقاء
أنشأ خلق آدم إنشاء ... وقدّ منه زوجه حوّاء

ثم يسترسل في الأرجوزة ويعرج على ذكر حوادث تاريخية أخرى، فيقول:

فهذه جملة أخبار الأمم ... منقولة من عرب ومن عجم
وكل قوم لهم فكير ... وقلما تحصل الأمور
وعميت في الفترة الأخبار ... إلا التي سارت بها الأشعار
والفرس والروم لهم أيام ... يمنع من تفخيمها الإسلام
وإنما يقنع أهل العقل ... بكتب الله وقول الرسل

ثم يعرج بعدها على ذكر أيام خلافة المستعين بالله، فيقول:

فنحن في خلافة مباركة ... خلت عن الأضرار والمشاركة

فالحمد لله على إنعامه ... جميع هذا الأمر من إحكامه

ومن خلال ما تقدم نلمس مدة أهمية هذه المنظومات والأراجيز في تدوين التاريخ وكتابته.

الأراجيز والمنظومات في مجال تاريخ العلوم

يعد مجال تأليف الأراجيز في أبواب العلم والمعرفة المتعددة مجالاً خصباً حيث كتب وأُلِفت فيه العديد من المنظومات التي سهلت تداولها وتعليمها؛ لاسيما وإن أبواب العلوم والمعارف عديدة ومتنوعة وبحاجة لمن ييسرها لطلبة العلم بعد أن تزايدت مجالات العلم وتنوعت مفرداتها، حيث ظهرت أصناف وأنواع من العلوم، وهي:

١. العلوم النقلية الوضعية:

ويراد بها العلوم التي تقوم على الخبر، وهي العلوم الشرعية، والعلوم ذات الطابع الأدبي والإنساني.

٢. العلوم الحكمية الفلسفية:

وهي العلوم التي يصل إليها الإنسان ويهتدي لتفاصيلها من خلال تفكيره وتدبره وإعمال عقله واستخدام المنطق للوصول إليها.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

ويعرف ابن خلدون العلوم العقلية بقوله[٢٨]:

" وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة، بل يوجه النظر فيها إلى أهل الملل كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة، وتسمى هذه العلوم: علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم:

- علم المنطق.
- علوم التعاليم (علم العدد/ علم الهندسة/ علم الهيئة (الفلك والنجوم)/ علم الموسيقا).
- العلم الإلهي.
- العلم الطبيعي، مثل: الطب.

وبهذا نرى أن العلوم التي كتبت فيها المنظومات والأراجيز عديد ومتنوعة أسهمت في وجود مؤلفات كثيرة ساهمت في حفظها.

كما نجد عند علماء آخرين تقسيماً مختلفاً للعلوم التي كتبت فيها المنظومات والأراجيز، وكما يلي[٢٩]:

١. علوم التعاليم: (الفلك، الرياضيات، الموسيقا).
٢. علوم الحكمة: (الفلسفة، المنطق، الميزان).
٣. العلوم الطبيعية (الطب، النبات، الحيوان، الكيمياء، المعادن، الأحوال الطبيعية، الآثار العلوية).
٤. أحكام النجوم والعلوم الخفية والطلاسم.

نماذج من الأراجيز والمنظومات العلمية:

سنشير هنا لمجموعة أراجيز في مجالات علمية عدة أسهمت في تبيان أهمية هذا النوع من النظم في حفظ تاريخ العلوم عند المسلمين، والذي يعد من أهم الأبواب التي بينت ميزات الحضارة الإسلامية وأضافت الشيء الكثير في إبراز إسهامات المسلمين العلمية.

١. في علم الرياضيات:

(أرجوزة في أعمال الجذور)[٣٠] ومؤلفها أبو محمد عبد الله بن الحجاج الأدريني المعروف بابن الياسميني (ت ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤ م)، ويقول فيها:

لما بدت لي الجذور مُغلقة ... نظمتُ في أجناسها المحقَّقه

أرجوزة تُبين ما قد انبَهَمْ ... وتُوضِّح المُشكل من تلك البُهَمْ

يا سائلي عن صنعة الجذورِ ...استمع هُدَيتَ أرشَدَ الأمورِ

فإنها قد قُسِّمت لسته ... الضربُ ثم الجمعُ ثم القِسمَه

وبعدَهُ التضعيف يتلو الطَّرحا... والسادِسُ التجذير فيها أضحى

٢. في علم المواريث

(أرجوزة بغية الباحث عن جمل المواريث)[٣١]، ومؤلفها أبو عبد الله موفق الدين محمد بن علي الرحبي المعروف بابن المتقنة (ت ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م)، ويقول فيها:

الوارثون من الرجال عشرة ... أسماؤهم معروفة مشتهره
الإبن وابن الإبن مهما نزلا ... والأب والجد له وإن علا
والاخ من أى الجهات كانا ... قد أنزل الله به القرآنا
وابن الاخ المدلي إليه بالأب ... فاسمع مقالاً ليس بالمكذب
والعم وابن العم من أبيه ... فاشكر لذي الإيجاز والتنبيه
والزوج والمعتق ذو الولاء ... فجملة الذكور هؤلاء

٣. علم المواقيت:

(أرجوزة في الفلك أو روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار) [٣٢] ومؤلفها أبو زيد عبد الرحمن بن أبي غالب التجيبي المعروف بالجادري (ت ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م)، ويقول فيها:

الحمدلله العلي القادر... مكوِّر الليل الحكيم القاهر
مسخر الأفلاك والكواكب... سبحانه من مالكٍ وواهب
جعلها هداية في البر... والبحر مهما ضل من في السَّير
أبدَعَها زينها صورها... وفي البروج أبداً سيرها
وجعل الشس ضياءً والقمر... نوراً وفي منازل له قدْر
لتعلموا السنين والحسابا... وتهتدوا بنورها الذُّهَّابا

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

الخاتمة :

تناولنا فيما سبق من صفحات موضوعاً تاريخياً مهماً في حقل التخصص ألا وهو الأراجيز والمنظومات العلمية بصفتها مصدراً لكتابة التاريخ، وقد توصلنا من خلال البحث لما يلي:

١- إن الكتابة وفق أسلوب الأراجيز والمنظومات قديم في الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى؛ ما يدلل على أهمية هذا النوع من التدوين التاريخي.

٢- إن الأراجيز والمنظومات الشعرية مصدراً مهماً واستثنائياً في جوانب عدة تساعد بشكل رئيس في كتابة التاريخ وحفظه.

٣- تمكن العديد من العلماء والمؤرخين من المزج بين الجوانب العلمية المحضة في التدوين التاريخي والقدرة الأدبية والشعرية التي سهلت خدمة علم التاريخ.

٤- تنوعت الحقول والميادين والمعارف التي كتبت على طريقة الأراجيز والمنظومات؛ وذلك بحسب وجود العلماء المتمكنين من الشعر والأدب.

٥- توجد العديد من الأراجيز والمنظومات الشعرية لاسيما في حقول تاريخ العلوم المتنوعة لا تزال بحاجة لدراسة وتحقيق؛ لتكون مصادر جديدة في المكتبة التاريخية.

الهوامش

(١) عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ط٢ (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م) ص ٣٢٩.

(٢) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط٥ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤) ج١ ص ٤٤-٤٥.

(٣) جواد غلام علي زاده، المنظومات التعليمية ودورها في التعليم، www.diwanalarab.com.

(٤) فروخ، تاريخ الأدب، ج١ ص٤٥.

(٥) صالح آدم بيلو، حول الشعر التعليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م، العدد٥٢، ص٢٠٧.

(٦) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني، ط١ (بغداد، دار المعارف، د.ت)، ص٩٩.

(٧) المرجع نفسه

(٨) بيلو، حول الشعر التعليمي، ص٢٠٧.

(٩) البيروني، تحقيق ماللهند من مقولة، ص ٧١.

(١٠) محمد علي الهاشمي، عدي بن زيد العبادي، الشاعر المبتكر: دراسة تحليلية لشخصيته وشعره تناولت بيئة الشاعر وحياته وأغراضه وفنه، ط١ (حلب، المكتبة العربية محمد تلاليني، ١٩٦٧م) ص ١٣٥ وما بعدها.

(١١) بيلو، حول الشعر التعليمي، ص٢١١؛ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م)، شرح الكافية الشافية، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، ط١ (مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ج٢ ص٨٢٠.

(١٢) عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٦م)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بلا.ط (بيروت، عالم الكتب، د.ت)، ج١، ص٣١١؛ أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري (ت ٢٨٤ هـ/٨٦٢م)، الحماسة، المحقق: د. محمد إبراهيم حُوَّر - أحمد محمد عبيد، ط١ (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) ص٣٥٢.

(١٣) أبو الحسن علي ين الحسين المسعودي (٣٤٦ هـ /٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، (القاهرة، دار التحرير، د.ت) ج٢ ص ٥١٤؛ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) ج٨ ص٢٠٥.

(١٤) بيلو، حول الشعر التعليمي، ص ٢١٢.

(١٥) ينظر: محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ط٢ (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، ص٣٦٧.

(١٦) المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (توفي نحو ١٦٨هـ/٧٨٥م)، ديوان المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، ط٦ (القاهرة، دار المعارف، د.ت) ص ٢٠٥.

(١٧) محمد علي آذرشب، الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي، ط٥ (طهران، منظمة سميت، ١٣٨٢ هـ)، ص ٥٢.

(١٨) علي زاده، المنظومات التعليمية.

(١٩) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م)، شرح المعلقات السبع، ط١ (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١٣٣؛ محمد بن أيدمر المستعصمي (٧١٠هـ/١٣١٠م)، الدر الفريد وبيت القصيد، تح: كامل سلمان الجبوري، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، ج٦، ص٤٧٣.

(٢٠) محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ط٢ (القاهرة، دار المعارف، د.ت) ص ٣٦٧.

(٢١) أبو عثمان عمرون بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩) ج٦ ص ٢٨٤.

(٢٢) أبو الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي المراكشي (ت٦٣٨هـ/١٢٤١م)، أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية، تحقيق: عبد الله بنصر العلوي، ط١ (أبوظبي، المجمع الثقافي، ١٩٩٩م) ص ٧١.

(٢٣) لقمان الأنصاري، ماهي المتون العلمية، ص ٣.

(٢٤) ابن أبي العز، أبو الحسن علي بن علي بن محمد الحنفي(ت٧٩٢هـ/ ١٣٩٣م)، الأرجوزة المِئيَّة في ذكر حال أشرف البرية، تحقيق: عبد المحسن بن محمد القاسم، ط١(المدينة المنورة، متون طالب العلم، ٢٠٢٢م).

(٢٥) ابن الشحنة، محمد بن محمد بن محمود الحلبي (ت٨١٥هـ/١٤١٦م)، أرجوزة السيرة النبوية الشريفة (سير الحور إلى القصور)، ط١ (مكة، دار طيبة الخضراء، ٢٠١٨م).

(٢٦) علي بن الجهم: هو علي بن الجهم بن بدر بن مسعود بن أسيد القرشي، وكنيته أبو الحسن وأصله من خراسان؛ (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط٧ (بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م) ج٣ ص٣٥٥؛

(٢٧) علي بن الجهم (ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م)، ديوان علي بن الجهم، ط٢ (بيروت، دار صادر، د.ت).

(٢٨) عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، المقدمة، ط١ (بيروت، دار الفكر، د.ت) ص ٤٧٨.

(٢٩) جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية دراسة وثائقية ونصوص، ط١ (الكويت، سلسلة التراث العلمي العربي، ١٩٩١م) ص٢٥.

(٣٠) https://ismi.mpiwg-berlin.mpg.de/text/106128 مخطوطة متوفرة في مبادرة المخطوطات العلمية الإسلامية .

(٣١) موفق الدين أبو عبد الله الرحبي (ت٥٧٩هـ/١١٨٣م)، متن الرحبية = بغية الباحث عن جمل المواريث، ط١ (مصر، دار المطبوعات الحديثة، د.ت) ص٣.

(٣٢) مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية، المملكة المغربية بالرقم ١١١٣، مجموع٢١٥١.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ/٨٦٢م)، الحماسة، المحقق: د. محمد إبراهيم حُوَّر – أحمد محمد عبيد، ط١ (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- الجادري، أبو زيد عبد الرحمن بن أبي غالب التجيبي (ت ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م)،مخطوط محفوظ في الخزانة الحسنية، المملكة المغربية بالرقم ١١١٣ ، مجموع٢١٥١.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرون بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩م).
- ابن الجهم، علي (ت ٢٤٩هـ/٨٦٣م)، ديوان علي بن الجهم، ط٢ (بيروت، دار صادر، د.ت).
- الجياني، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت٦٧٢هـ/١٢٧٤م)، شرح الكافية الشافية، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، ط١ (مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ)، المقدمة، ط١ (بيروت، دار الفكر، د.ت).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط٧ (بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م).
- الرحبي، موفق الدين أبو عبد الله (ت٥٧٩هـ/١١٨٣م)، متن الرحبية = بغية الباحث عن جمل المواريث، ط١ (مصر، دار المطبوعات الحديثة، د.ت) .
- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م)، شرح المعلقات السبع، ط١ (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م).
- ابن الشحنة، محمد بن محمد بن محمود الحلبي (ت٨١٥هـ/١٤١٦م)، أرجوزة السيرة النبوية الشريفة (سير الحور إلى القصور)، ط١ (مكة، دار طيبة الخضراء، ٢٠١٨م).

- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (توفي نحو ١٦٨هـ/٧٨٥م)، ديوان المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، ط٦ (القاهرة، دار المعارف، د.ت).
- العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٦م)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بلا.ط (بيروت، عالم الكتب، د.ت) .
- ابن أبي العز، أبو الحسن علي بن علي بن محمد الحنفي(ت٧٩٢هـ/ ١٣٩٣م)، الأرجوزة المِئيَّة في ذكر حال أشرف البرية، تحقيق: عبد المحسن بن محمد القاسم، ط١(المدينة المنورة، متون طالب العلم، ٢٠٢٢م).
- المراكشي، أبو الحسن علي بن إبراهيم الأندلسي (ت٦٣٨هـ/١٢٤١م)، أرجوزة الفواكه الصيفية والخريفية، تحقيق: عبد الله بنصر العلوي، ط١ (أبوظبي، المجمع الثقافي، ١٩٩٩م).
- المستعصمي، محمد بن أيدمر (٧١٠ هـ/ ١٣١٠م)، الدر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م).
- المسعودي، أبو الحسن علي ين الحسين (٣٤٦ هـ /٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١ (القاهرة، دار التحرير، د.ت) .
- الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠هـ/٩٨١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) .
- الياسميني، أبو محمد عبد الله بن الحجاج الأدريني المعروف بابن (ت ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤ م)، (أرجوزة في أعمال الجذور)، مخطوطة متوفرة في مبادرة المخطوطات العلمية الإسلامية . https://ismi.mpiwg-berlin.mpg.de/text/106128

المراجع:

- آذرشب، محمد علي الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي، ط٥ (طهران، منظمة سميت، ١٣٨٢ هـ).
- بيلو، صالح آدم، حول الشعر التعليمي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م، العدد ٥٢.
- شوقي، جلال، العلوم العقلية في المنظومات العربية دراسة وثائقية ونصوص، ط١ (الكويت، سلسلة التراث العلمي العربي، ١٩٩١م).
- عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، ط٢ (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م).
- علي زاده، جواد غلام، المنظومات التعليمية ودورها في التعليم، www.diwanalarab.com.

•فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ط٥ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م) .
•الهاشمي، محمد علي، عدي بن زيد العبادي، الشاعر المبتكر: دراسة تحليلية لشخصيته وشعره تناولت بيئة الشاعر وحياته وأغراضه وفنه، ط١ (حلب، المكتبة العربية محمد تلاليني، ١٩٦٧م) .
•هدارة، محمد مصطفى، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ط٢ (القاهرة، دار المعارف، د.ت).
•وافي، علي عبد الواحد، الأدب اليوناني، ط١ (بغداد، دار المعارف، د.ت).

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies